9,80 ₰
131546

كتاب

الازهار الرياضية

في أئمة وملوك الاباضيه

تأليف

الفقير إلى مولاه الغني سليمان بن الشيخ
عبد الله الباروني النفوسي وفقه
الله لصالح العمل وعامله بالحسنى
آمين

دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع - تونس

القسم الثاني من الكتاب

في انتقال الامامة من طرابلس الى مدينة تيهرت

بالمغرب الاوسط ومبدا ذلك وأسبابه

قد تقدم ان عبد الرحمن بن رستم لما ورد عليه امر الامام ابي الخطاب من طرابلس وهو عامل له بالقيروان جهز جيشاً وسار به ولما وصل (قابس) أدركه خبر وفاة الامام فتفرق عليه الجيش وقامت (قابس) على عاملها فعاد الى القيروان فوجدها قد قامت على وكيله أيضاً ووجد عبد الرحمن ابن حبيب ثائراً بها كما مر مفصلا *في القسم الاول*ولما وجد الأمر كذلك خرج مستخفيا قاصداً المغرب ولم يكن معه شيء الا ما خف من ماله وابنه عبد الوهاب ومملوكه وفرسه وما ساروا غير قليل حتى ماتت الفرس فدفنوه كي لا يعلم بموته أحد من حزب ابن حبيب فيطمع فيهم ويتبع أثرهم ولما تعب عبد الرحمن من السير لكبر سنه تناوب حمله ابنه عبد الوهاب على ظهره

مع المملوك وقال كل منهما للآخر اذا لحقنا من العدو مادون خمسمائة فارس فلا تضع الشيخ (أى عبد الرحمن) الى الارض وانا أكفيك مؤنة الدفاع وضلوا سائرين قاصدين رحاب المغرب وأكنافه (١) الواسعة المزدانة (٢) برجال الاباضية اخوانه ومحبي سيرته حيث يعمه الأمن ويحيط به العز والشرف ويشمله الاجلال والاحترام الى ان بلغوا جبلا يعرف بسو فجج * وهو على ما وصف به فى التواريخ فى غاية المنعة وصعوبة المرقى فتحصن فيه وسمع به وجوه الاباضية وعلماؤهم فقصدوه من كل النواحي حتى اجتمع عنده من طرابلس وجبل نفوسة من العلماء فقط مايزيد على ستين من اكابر العلماء وأهل الفضل والرأى ولما بلغ ابن الاشعث وهو فى القيروان كما مر خبر هذا الاجتماع اشتد به الرعب وداخله الفزع ولم يطب له طعام ولا شراب ولا منام حتي جهز جيشا وسار به الى الجبل المذكور لمحاصرته قبل أن يعظم ذلك المجتمع * ولما وصله نزل فى سفحه (٣) وحفر خندقا على معسكره (٤) خوفا من هجوم عبد الرحمن ومن معه عليه وأقام محاصرا للجبل زمنا مستعملا كل الحيل في دخوله والاستيلاء عليه ولم يتمكن من ذلك ولما سئم (٥) الاقامة وتوقع انقلاب الحال عليه وخاف سوء العاقبة ولاسيما بعد أن انتشر داء الحمى والجدري فى عسكره حتى هلك منهم خلق كثير استشار في الامر خواصه فأشار عليه بعض بالارتحال وبعض بالاقامة فأخذ برأي الاولين وارتحل قائلا ان سوفجج لايدخله الادارع ومدجج (٦) ولم نقف على مانستدل به على تعيين هذا الجبل

---

(١) أي جوانبه (٢) أي المتزينة (٣) سفح الجبل أسفله (٤) المعسكر موضع اجتماع العساكر (٥) أى مل بتشديد اللام (٦) دارع كلابن وتامر هو الرجل

وأي الجبال هو لتبدل الاسماء بتبدل اللغات مع طول الزمن * فدخل القيروان وتحصن بها واقام عبد الرحمن هنالك حتى اجتمع عليه من أهل الفضل والعلم والصلاح جم غفير وارتحل (١) الى جهة ﴿تاهرت﴾ وهي اذذاك مدينة قديمة يسكنها وما حولها قبائل من البربر مثل هوارة * ومكناسة * ونفوسة * ولماية ومزاتة وغيرهم وكلهم أباضية الا النادر ويعدون بمآت الالوف * قال المؤرخ ابن خلدون * وقتل ابو الخطاب وطار الخبر بذلك الى عبد الرحمن بن رستم بمكان امارته في القيروان فاحتمل أهله وولده ولحق بأباضية المغرب الاوسط من البربر الذين ذكرناهم ونزل على * لماية * لقديم حلف (٢) بينه وبينهم

الذى عليه الدرع بكسر الدال وهى حلة من حديد تلبس حال الحرب * تذكر وتؤنث * والمدجج * بتشديد الجيم الاولى هو الرجل المتقلد بسلاحه الحديد القوي * قال الحموى في ٤٤٨ كأنه من الديجوج وهو الظلام كانه يختفي في الظلام كما يختفى في السلاح اه ولعله بالعكس

(١) الذي يظهر أن الذي سار فيه عبد الرحمن ومن معه من ذلك الجبل الى حد تاهرت كله عامر بالاباضية لا غير أولهم السيادة فيه والا لما أمكن له الوصول بدون أن يعرض له عارض مع اشتهار أمره وشدة طلب العدو له * ولم نعلم السبب المرجح لذهابه الى المغرب دون جبل نفوسه وما حوله العامر بالاباضية مع قربه منه وقوتهم اللهم الا أن يكون ذلك الحلف الذى سيأتي ذكره عن ابن خلدون

(٢) الحلف بالكسر العهد بين القوم والصداقة والصديق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به اه قاموس ﴿فائدة﴾ قال والاحلاف قوم من ثقيف (بفتح الثاء) وفي قريش ست قبائل * عبد الدار * وكعب * وجمح * (بضم ففتح) وسهم * ومخزوم * وعدي * لانهم لما أرادت بنو عبد مناف أخذ ما في أيدي عبد الدار من الحجابة والسقاية (في المسجد الحرام) وأبت عبد الدار عقد كل قوم على أمرهم حلفا (بكسر الحاء) مؤكدا على أن لا يتخاذلوا فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعتها

اه وذكر مثل ذلك العلامة الحموي في تاريخه أيضا * ولما وصلهم استبشروا به لما يبلغهم من استقامته وعدله وعلمه وورعه أيام كان عاملا لابي الخطاب على القيروان والتفوا حوله واستظلوا بحمايته ووقفوا عند أوامره ونواهيه بدون أن يدعي فيهم خلافة أو يطلب بيعة أو ملكا ثم اجتمعوا اليه (١) وقالوا له لابد لنا من امامة ظهور بعد تأسيس مدينة حصينة منيعة بعيدة عن مهاجمات العدو (٢) تكون مأوى ومقرا لا ما متنا (٣) وملجأ لنا في حربنا وسلمنا فأجابهم عبد الرحمن الى ذلك واستحسن رايهم

لأحلافهم وهم * أسد * وزهرة * وتيم * عند الكعبة فغمسوا أيديهم فيها وتعاقدوا وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤهم حلفا آخر مؤكدا فسموا الاحلاف وقيل لعمر رضى الله عنه * أحلافى * (بياء النسب) لانه عدوي اه ولعل مراد ابن خلدون بالحلف هاهنا مجرد الصداقة والافلم نعثر في كلام المؤرخين على حصول معاهدة بين عبد الرحمن وبين قبيلة لماية أو غيرها من القبائل قبل توجهه الى جهة تيهرت الا أن يكون ذلك أيام امارته بالقيروان ولم نطلع عليه والله أعلم

(١) الظاهر أن هذا الاجتماع كان قبل أن يحصل تقديم أبي حاتم رحمه الله الله في جهات طرابلس كما يتبين بالنظر الى تاريخ تأسيس تاهرت وتاريخ ولايته على ما تقدم وما سيأتي

(٢) يريدون بذلك أن تكون في وسط مواطنهم ومعظم جموعهم وقوتهم ولا تكون قريبة من حدود مملكة قوية من ممالك غيرهم حتى لا يسهل هجوم العدو عليها كطرابلس فانها على البحر وقريبة من حدود مصر ولذلك لم يستقر لهم فيها قرار

(٣) أي الامامة التى يضمرون عقدها لعبد الرحمن أو غيره في مستقبلهم أما أبو حاتم فلا ذكر له اذ ذاك ولم نقف على نص يوضح حال أباضية طرابلس والجبل وما يلى ذلك في الزمن الذي بين وفاة أبي الخطاب وامامة أبى حاتم رحمهما الله فانها مدة لا يمكن أن تخلو من عمل مع ما هم عليه من القوة عددا وعدة وسنبحث على ذلك ان شاء الله

ابتداء تأسيس مدينة تيهرت

فاختاروا اذ ذاك من اهل العلم والخبرة بالارض جماعة ليرتادوا (١) مكانا جيد الهواء كثير المياه خصب الارض قابلا للعمارة مأمونا من العدو كما طلبوا فطافوا اقطار تلك الجهات الى ان عثروا على المكان الذي بنيت فيه وكان غابة ملتفة بالاشجار يسكنها انواع الوحوش * قال العلامة الشماخي رضي الله عنه في تاريخه نقلا من تاريخ ابي زكرياء رحمهما الله * ان بقية المسلمين ورؤساء العابدين وكبراء الزاهدين من جماعة المؤمنين اتفقوا على ان يتخيروا موضعا يبنون فيه مدينة تكون حرزا وحصنا الاسلام فأرسلوا الرواد (٢) فطافوا أطراف تلك البلاد فاستحسنوا موضع تاهرت فاتفق رأي المسلمين على بنائها فجعلوا لاهلها خراجا (٣) معلوما يأخذونه من

(١) أى ليطلبوا فهو مضارع ارتاد وفي الحديث اذا بال أحدكم فليرتد لبوله أي فليطلب مكانا لينا أو منحدرا

(٢) جمع رائد وهو الذي يرسل في طلب الكلا كما في القاموس والمراد هنا المرسلون في طلب أرض على النعت المذكور

(٣) أي مقدارا معيناً من المال يدفعه لارباب الارض أصحاب البيوت والاسواق والحمامات بقانون متفق عليه في كل شهر أو كل سنة وقد عرف بعضهم الخراج فقال * الخراج والخرج (بفتح فسكون) بمعنى واحد وهو أن يودى العبد اليك خراجه أى غلته والرعية تودى الخراج الى الولاة وأصله من قوله تعالي * أم تسألهم خرجا * وقرئ خراجاً معناه أم تسألهم أجرا على ماجئت به فأجر ربك وثوابه خير * وأما الخراج الذى وظفه عمر بن الخطاب رضى الله عنه على السواد فأراضي الفئ فان معناه الغلة ومنه قوله عليه السلام * الخراج بالضمان * قالوا هو غلة العبد يشتريه الرجل فيستغله زمانا ثم يعثر منه على عيب دلسه البائع ولم يطلعه عليه فله رد العبد على البائع والرجوع عليه بجميع الثمن والغلة التي استغلها المشترى من العبد طيبة له لانه كان في

غلتها اه ﴿ وذلك بعد أن راودهم عبد الرحمن على البيع ولم يقبلوا كما سيأتى عن الحموي ﴾ وأمروا مناديا فنادى بأعلى صوته قائلا * يامن بها من الوحوش والسباع ان اخرجوا وارتحلوا فانا نريد عمارتها ونازلون بها ولكم اجل ثلاثة ايام * او مافي معني هذا الكلام * قال ابو زكرياء وذكروا انهم رأوها تحمل اولادها في افواهها وهي خارجة من تلك الاشجار فرغبهم ذلك فيها وزادهم بصيرة في عمارتها اه * (١)

*ولما تم الاجل ولم يبق بها من تلك الوحوش شيء اوقدوا شجرها نارا فأحرقته ولما خمدت النار وتمت تنقية الاشجار (٢) وصارت صالحة

ضمانه ولو هلك هلك من ماله وكان عمر رضي الله عنه أمر بمسح السواد ودفعه الى الفلاحين الذين كانوا فيه على غلة كل سنة ولذلك يسمي خراجاً ثم بعد ذلك قيل للبلاد التى فتحت صلحا ووظف ماصولحوا عليه على أرضهم خراجية لان تلك الوظيفة اشبهت الخراج الذى لزم الفلاحين وهو الغلة لان جملة معنى الخراج الغلة وفي الحديث ان أبا طيبة لما حجم النبي صلى الله عليه وسلم أمر له بصاعين من طعام وكلم اهله فوضعوا عنه من خراجه أى من غلته اه

(١) ذكر بعض المؤرخين مثل هذه الحكاية في شأن الصحابة لما فتحوا افريقية وأرادوا تأسيس مدينة القيروان ولعل الامام عبد الرحمن اقتدى بهم في تأسيس تاهرت أيضا ولم نجد من نسب له هذه الكرامة من مؤرخي غيرنا أما عندنا ففي كل تاريخ والله أعلم

(٢) ذكر العلامة الشماخي والعلامة أبو زكريا رحمهما الله أنهم وضعوا في أصول تلك الاشجار حيسا (أي معجونا اتخذوه من ثمر واقط وسويق مخلوطين بسمن) فجاءت الخنازير في الليل (وكأنها موجودة بكثرة وتحب هذا المعجون جداً) لما شمت رائحته وصارت تحفر تحت تلك الاصول بحثاً وراء ذلك الحيس حتى نزعتها كلها * و بالتأمل يظهر أن هذا الامر يحتاج الى شيء كثير من السمن ولوازمه لما

للعمارة قصدوا الى اختيار محل ليؤسسوا فيه المسجد الجامع قبل كل شئ فانتخبوا أربعة أماكن ورموا القرعة عليها فجاءت على المكان الذي خصصوه لصلاتهم ايام اقامتهم في تنقية الاشجار * فشرعوا في تاسيسه واختطوها بيوتاً وقصوراً وأسواقاً وحمامات ومساجد وفنادق (١) يحيط بالكل سور (٢) محكم وتفننوا تدريجاً في عمارتها وتنظيمها حتى كانت عروس تلك الاقطار وفخر تلك الديار . واصبحت كما وصفها المؤرخون من انها عراق المغرب . وانها بلخ (٣)

في المكان من كثرة الشجر * ثم انظر كيف يتأتى للخنازير نزع تلك الاصول العظيمة ذات العروق الراسخة المتفرعة في باطن الارض من أحقاب لا يعلمها الا خالقها التي يكل في قطعها الحديد الحاد * فالله أعلم كيف كان ذلك ولعل هناك أمرا آخر سهل نزعها مع الخنازير وأهمله التاريخ أو جعلوا ذلك لما بقي بعد الحرق من أصول الاشجار الرقيقة لكثرتها وأما العظيمة فباشروا ازالتها بأنفسهم وعلى كل حال فلاحظ للنظر مع وجود الاثر اذ ما نقلوا رحمهم الله ذلك ودونوه الا عن يقين وصحة

(١) الفنادق جمع فندق وهو لغة الخان أي محل التجارة وفي اصطلاح عصرنا يطلق غالبا على محل كبير ذي بيوت معدة لنزول المسافرين به بالاجرة ويختلف باختلاف المدن والبلاد في معداته وترتيباته (٢) بقي الى الآن من هذا السور قطعة تدل على متانته وسيأتي في الاصل كلام عليه

(٣) العراق * و بلخ * من البقاع التي كانت يضرب بها المثل في الحضارة والمدنية والعمران بالشرق في صدر الاسلام خصوصاً في دولة بني العباس المعاصرة لدولة الرستميين * أما العراق فكائنة في منصب النهرين المباركين * نهر دجله * ونهر الفرات * ومن مدنه المشهورة مدينة بابل وسيأتي زيادة كلام عليه * ولا نزيده الآن تقريظا على ماذكره الحموي حيث قال في صحيفة ٦٣٠ من المجلد الثالث هكذا * والعراق أعدل أرض هواء وأصحها مزاجا وماء فلذلك كان أهل العراق هم أهل العقول الصحيحة والآراء الراجحة والشهوات المحمودة والشمائل الظريفة والبراعة في كل صناعة لا تغفل ايها القارى فاننا ماسقنا هذا الكلام هنا

المغرب . وانها قاعدة المغرب الاوسط . لما كان بها من الحضارة الاسلامية ورواج سوق المعارف والتجارة الواسعة اذ كانت ترد اليها وتصدر منها أنواع البضائع الى السودان وأقصى المغرب وبلاد الاندلس ومصر والشام والحجاز

الا لتشبيههم تيهرت بالعراق مع اعتدال الاعضاء واستواء الاخلاط وسمرة اللون وهم الذين أنضجتهم الارحام فلم تخرجهم بين أشقر وأصهب وأبرص كالذي يعتري أرحام نساء الصقالبة من الشقرة ولم تتجاوز أرحام نسائهم في النضج الى الاحراق كالزنج والنوبة والحبشة الذين حلك لونهم ونتن ريحهم وتفلفل شعرهم وفسدت آراؤهم وعقولهم فمن عداهم بين أحمر لم ينضج ومجاوز للقدر حتى خرج من الاعتدال قالوا وليس (بالعراق) مشات كمشاتي (الجبال) ولا مصيف كمصيف (عمان) ولا صواعق كصواعق (تهامة) ولا دماميل كدماميل (الجزيرة) ولا جرب كجرب (الزنج) ولا طواعين كطواعين (الشام) ولا كطيحال (البحرين) ولا كحمى (خيبر) ولا كزلازل (سيراف) ولا كحرارات (الاهواز) ولا كأفاعي (سجستان وتعابين (مصر) الى أن قال واقليم بابل موضع التميمة من العقد و واسطة القلادة ومكان اللبة من المرأة الحسناء والمحة من البيضة والنقطة من البركار * قال عبيد الله المفتقر الى رحمته وهذا الذي ذكرناه عنهم من ادل دليل على ان المراد بالعراق ارض بابل الا تراه قد افرده عنه بما خصه به وقال شاعر يذكر العراق

﴿ الى الله أشكو عبرة قد اظلت * ونفسا اذا ماعزها الشوق ذلت ﴾
﴿ تحن الى أرض العراق ودونها * تنائف لو تسري بها الريح ضلت ﴾

واما بلخ * فقد قال فيها * و بلخ من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيرا وأوسعها غلة تحمل غلتها الي جميع خراسان والى خوارزم * اه

ثم نسب اليها جماعة كبيرة من العلماء والفضلاء * و بها ذلك البناء الفخيم المسمى (بالنو بهار) وقد قال فيه أيضاً نقلا عن ابن الازرق الكرماني هكذا * كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف وكان دينهم (قبل الاسلام)